

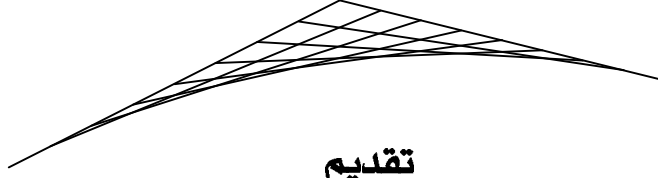
١٥٨١

كتاب
منهج أهل السنة والجماعة
في
معاملة ولاية أمرهم

ينشر لأول مرة

Black plate (1582,1)

١٥٨٢



تقديم

معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان

الحمد لله رب العالمين، أمر بالاجتماع والائتلاف. ونهى عن التفرق والاختلاف.

والصلاة والسلام على نبينا محمد ما من خير إلا دل الأمة عليه وأمرها به.

وما من شر إلا بينه وحذر منه. وعلى آله وأصحابه أعلام الهدى. ونجوم الدجى. ومن تبعهم بإحسان. وبعد:

فقد اطلعت على الرسالة التي ألفها أخونا الأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار بعنوان: «منهج أهل السنة والجماعة في معاملة ولاية أمورهم» فوجدتها رسالة قيمة مفيدة في موضوعها تدعو الحاجة إلى مثلها لبيان الحق الذي التبس على كثير من الناس في هذه المسألة بسبب دعاة الضلال وأحزاب الفتنة الذين يريدون أن يفرقوا جماعة المسلمين ويوقعوا الشقاق بينهم على نهج فرقة الخوارج التي ابتليت بها الأمة الإسلامية في وقت مبكر وهي مكيدة من شياطين الجن والإنس حتى صار الكلام فيها الآن هو الشغل الشاغل خصوصاً في أوساط الشباب الجاهل فكان لا بد من بيان الحق في هذه المسألة.

وإن ما كتبه الشيخ الدكتور عبد الله في هذه الرسالة هو من القيام بهذا الواجب العظيم. فجزاه الله خيراً ونفع بعلمه وبما كتب.

قاله وكتبه:

صالح بن فوزان الفوزان

١٤١٨/١/١٩هـ

١٥٨٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المملكة العربية السعودية

رئاسة

إدارة البحوث العلمية والإفتاء

الرقم :


التاريخ :

المشغولات :

الموضوع :

الحمد لله رب العالمين - أمربا للجماع والأستلاف . ومنه عن التفرقة والاختلاف .
والصلاة والسلام على نبينا محمد من غير الإلحاد الأمت عليه وأمر حابه .
وعلام من شره للإبغية وحذر منه . وعلى آله وأصحابه أعلام الهدى . ونجوم
الدرى . ومن تبعهم بإحسانه . وبعد : فقد اطلعت على الرسالة التى
ألفها أخونا الأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار بعنوانه :
منهج أهل السنة والجماعة فى معاملة ولادة أممهم فوجدتها رسالة قيمة
مفيدة فى موضوعها تدعو الحاجة إلى مثلها لبيان المحمد الذى التمس على
كثير منه الناس فى هذه المسألة بسبب دعاة الضلال وأحزاب
الفتنة الذين يريدون أن يفرقوا جماعة المسلمين ويوقعوا التفرقة
بينهم على منبر فرقة الحوارج التى ابتليت بها الأمة الإسلامية فى وقت
مبكر وهي مليدة من سياتين الجن والإنس حتى صار الكلام خيرا لأن هو
الفاعل الشاغل فهو صا فى أوساط الشباب الجاهل فكانه لا بد من بيان
المحمد فى هذه المسألة . وإله ما كتب الشيخ الدكتور عبد الله بن محمد الرسالة
فهو من الصيام بهذا الواجب العظيم . فجزاه الله خيرا ونفع بعلمه وبما كتب به
قاله وكتبه :

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان


١٤١٢/١/١٩ هـ

المقدمة

الحمد لله القائل في محكم التنزيل: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: ١٥٥ - ١٥٧].

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، القائل مرغباً ومرهباً: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولّاه الله أمركم. ويكره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال»^(١). وبعد...

فالعلاج لعلل المسلمين وأدوائهم هو الاجتماع على الحق والخير والانتصار للسنة ومحاربة البدعة وقمعها.

والاجتماع المنشود والمأمور به ليس مجرد الاجتماع ولو على أي منهج بل على منهج واحد، وطريق واحد هو طريق أهل السنة والجماعة طريق السلف الصالح. ولن يتحقق ذلك إلا بنشر العلم المستمد من الكتاب والسنة والصدور عن علماء الأمة الكبار الموثوق بهم. وتاجهم. في هذا الزمن كبار العلماء في بلاد الحرمين الشريفين، لثقة الناس بهم وعلو مكانتهم، وحرصهم على سلوك طريق سلف الأمة في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق وغيرها. وهذا المسلك هو طوق النجاة بإذن الله لأمة الإسلام التي لم تصب - حسب علمي - بعلّة أخطر من علة التفرق والاختلاف، وذلك بسبب البعد عن العلماء العاملين وترك منهجهم والصدور عن آراء بعض المتحمسين للإسلام.

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة (١٣٤٠/٢) برقم (١٧١٥).

الذين يفهمون النصوص فهماً يتفق مع منهجهم ومشرهم. ولذا حصل من التفرق ما الله به عليم واكتوت الأمة بنار الفرقة ولا تزال. وهذا أمر معلوم من دين الإسلام ولكن في وسط هذا الجو المتكهرب هناك طائفة ثابتة على الحق، تأخذ به وتدعوا إليه ولا يزال الحال كذلك حتى تقوم الساعة. وصدق الحبيب المصطفى ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة»^(١).

هذه الطائفة هي الطائفة المنصور، الثابتة على الحق، الطالبة لما عند الله. ومن طلب ما عند الله فإنه لا يخيب.

قال محمد بن عبد الله الثقفى: «شهدت خطبة ابن الزبير بالموسم خرج علينا قبل التروية بيوم وهو محرم فلبى بأحسن تلبية سمعتها قط، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد... فإنكم جئتم من آفاق شتى وفوداً إلى الله ﷻ، فحق على الله أن يكرم وفده، فمن كان جاء يطلب ما عند الله فإن طالب الله لا يخيب، فصدقوا قولكم بفعل، فإن ملاك القول الفعل والنية النية، القلوب القلوب، الله الله في أيامكم هذه فإنها أيام تغفر فيها الذنوب»^(٢).

نسأل الله جل وعلا أن يجعلنا من هذه الطائفة، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما جهلنا، وأن يرزقنا علماً نافعاً، وعملاً صالحاً، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

يوم الاثنين: غرة شهر رمضان المبارك

من عام ١٤١٦هـ

ص.ب: ١٨٨ الزلفي

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه الطبراني.

أهمية الدعوة إلى الله

هناك غاية محددة لوجود الجن والإنس تتمثل في أداء مهمة سامية من قام بها فقد حقق غاية وجوده، ومن قصر فيها باتت حياته فارغة من القصد، خاوية من معناها الأصيل. هذه الغاية المحددة هي عبادة الله وحده كما شرع لعباده أن يعبدوه. ولا تستقيم حياة العبد كلها إلا على ضوء هذه المهمة والغاية. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

والدعوة إلى الله ﷻ من أفضل الأعمال وأقرب القربات وأوجب الواجبات، بعث الله تعالى صفوة خلقه من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام للقيام بها، ووعد القائمين بها أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً في الدنيا والآخرة، بل إن الله جل وعلا جعلها شعاراً لأتباع خير الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ولقد كان هؤلاء وهم خيار عباد الله تعالى يهتمون بالدعوة أبلغ الاهتمام، ويحرصون على إخراج الناس من الظلمات إلى النور أشد الحرص، وهكذا حال من سلك دربهم من صالحي الأمة ومصلحيها، وهذا الاهتمام الملحوظ يرجع لأسباب منها:

١ - أن الله تعالى أعلا منزلة الدعوة، حيث يصيرون بها من أحسن الناس قولاً عند خالقهم ﷻ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا وَمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣) [فصلت: ٣٣].

٢ - مما يجعل المسلم يحرص على تبليغ الدين إلى الناس دعاء النبي ﷺ لمن بلغ قوله إلى غيره حيث يقول: «نضر الله امرءاً سمع مقالتي فبلغها، فرب

حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»^(١) ومعنى نصر الله هذا دعاء له بالنصرة وهي النعمة والبهجة.

٣ - الحرص على هداية الناس له فضل عظيم، لا سيما إذا هدى الله على يده أحداً، يدل لذلك ما ثبت عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعلي رضي الله عنه لما أعطاه الراية يوم خيبر: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، وفوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»^(٢).

وقد بين الرسول ﷺ أن من دل على خير فله مثل أجر فاعله، فقد ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»^(٣) وأكد في سنته أن مما يتبع الشخص بعد موته وينفعه وهو في قبره العلم الذي يبثه في الناس، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»^(٤).

وحينما ننظر إلى سيرة الرسول ﷺ العملية في الجانب الدعوي نجده يدعو في جميع الأماكن والأزمان والأحوال فلم يوجه دعوته عليه الصلاة والسلام لصنف من الناس دون صنف، بل دعا الناس جميعاً من أحبه ومن أبغضوه، ومن استمع إليه، ومن أعرض عنه، بل يوجه دعوته إلى من آذاه لأن الدعوة تكليف من الله لا بد من القيام به كسائر التكاليف الشرعية.

ولم يخص ﷺ مكاناً دون غيره للدعوة، بل كان يدعو في المسجد والطريق والسوق والحضر والسفر، بل وحتى في المقبرة، وعلى رأس الجبل.

(١) رواه ابن ماجه وهو صحيح. انظر: صحيح سنن ابن ماجه (٤٥/١).

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي (٤٧٦/٧) برقم (٤٢١٠).

(٣) رواه مسلم في كتاب الإمام (١٥٠٦/٣) برقم (١٨٩٣).

(٤) رواه مسلم في الوصية (١٢٥٥/٣) برقم (١٦٣١).

كتاب منهج أهل السنة والجماعة في معاملة ولاية أمرهم

١٥٨٩

لم يترك الدعوة وكان ﷺ يستغل المواسم وأماكن تجمع الناس ليكون ذلك أبلغ في دعوته ولتصل أكبر عدد من الناس. واستمر ﷺ في أداء هذه المهمة الجليلة مشمراً عن ساعديه، باذلاً كل ما في وسعه، مستخدماً كل وسيلة متاحة متحملاً كل أذى في سبيل إبلاغ الدعوة وإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

وقد امتلأت سيرته وفاضت بالمواقف الدعوية الرائدة التي تتمثل فيه القدوة العملية للدعاة والعلماء والمصلحين، وسبيله في ذلك ومنطلقه وقاعدته العريضة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].



مفهوم أهل السنة والجماعة

أهل السنة والجماعة هم المتبعون للسنة في كل شأن، المجتمعون على الهدى. وبهذا يخرج أهل البدع وأصحاب الأهواء لأنهم غير مجتمعين على السنة والهدى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «البدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال أهل السنة والجماعة كما يقال أهل البدعة والفرقة»^(١).

وقال أيضاً: «... ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(٢). ويعلمون أن أصلق الكلام كلام الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدى محمد ﷺ على هدى كل أحد، وبهذا سُموا أهل الكتاب والسنة، وسُموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم مجتمعين. والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين...^(٣).

(١) الاستقامة (٤٢/١).

(٢) رواه أبو داود برقم (٤٦٥٧)، والترمذي برقم (٢٦٧٨) وقال: حسن صحيح.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/١٥٧).

منهج أهل السنة والجماعة في معاملة ولاية أمرهم

هناك نصوص صحيحة صريحة توجب طاعة ولاية الأمر والمناصحة لهم، وهذه النصوص ظاهرة كثيرة في القرآن والسنة المطهرة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٥٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩﴾ [النساء: ٥٨، ٥٩].

قال ابن كثير حول هذه الآيات^(١): فهذه أوامر بطاعة العلماء والأمراء، ولهذا قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ أي: اتبعوا كتابه، ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أي: خذوا بسنته، ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ أي: فيما أمركم به من طاعة الله لا في معصية الله.

وقال العلامة الشوكاني في تفسيره^(٢): «لما أمر سبحانه القضاة والولاة إذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالحق أمر الناس بطاعتهم ها هنا طاعة الله ﷻ هي امتثال أوامره ونواهيه وطاعة رسوله ﷺ هي فيما أمر به ونهى عنه، وأولي الأمر هم الأئمة والسلاطين والقضاة وكل من كانت له ولاية شرعية، لا ولاية طاغوتية، والمراد طاعتهم فيما يأمرهم به وينهون عنه ما لم تكن معصية...».

وقال العلامة ابن سعدي^(٣) في تفسيره حول هذه الآية: «ثم أمر بطاعته

(١) تفسير ابن كثير (٥١٨/١).

(٢) فتح القدير (٤٨١/١).

(٣) فتح الكريم المنان (٨٩/٢).

وطاعة رسوله وذلك بامثال أمرهما الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما. وأمر بطاعة أولي الأمر وهم الولاة على الناس من الأمراء والحكام والمفتين. فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم طاعة الله، ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط ألا يأمرؤا بمعصية الله فإن أمرؤا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

١ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(١).

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك»^(٢).

٣ - عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبدٌ حبشي كأن رأسه زبيبة»^(٣).

٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطيع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»^(٤).

٥ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»^(٥).

٦ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية»^(٦).

(١) رواه البخاري (١٠٩/١٣)، مسلم (٢٢٦/١٢).

(٢) رواه مسلم (٢٢٤/١٢).

(٣) رواه البخاري (١٠٨/١٣)، مسلم (٢٢٥/١٢).

(٤) رواه البخاري (٩٩/١٣)، مسلم (٢٢٣/١٢).

(٥) رواه مسلم (٢٤٠/١٢).

(٦) رواه البخاري (٥/١٣)، مسلم (٢٤٠/١٢).

كتاب منهج أهل السنة والجماعة في معاملة ولاية أمرهم

١٥٩٣

٧ - وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أهان السلطان أهانه الله»^(١).

٨ - وعن تميم الداري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة... قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٢).

هذه النصوص الصحيحة الصريحة تفيد بمجموعها وجوب طاعة ولاية الأمر في غير معصية الله وعدم إثارة الفتن مهما كان الدافع لها، والحرص على الجماعة ولزومها والنهي عن الفرقة لأن فيها خذلان الأمة وضعفها. وهذا هو منهج سلف الأمة الذي ساروا عليه وأكدوه فيما نقل عنهم من كلام حول النصوص السابقة، ومن ذلك ما يأتي:

١ - قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله:

«يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ولا بد لهم عند الاجتماع من الحاجة إلى رأس»^(٣).

وقال في موضوع آخر: «ولهذا روي أن السلطان ظل الله في الأرض». «ويقال: ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان»^(٤).

والتجربة تبين ذلك، ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: «لو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان» ويقول في موضع آخر: «فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله، فإن التقرب إليه بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات...»^(٥).

(١) رواه أحمد (٤٢/٥)، والترمذي (٢٢٢٥) وقال: حديث حسن.

(٢) رواه مسلم (٣٧/٢).

(٣) السياسة الشرعية (ص ١٨٤).

(٤) السياسة الشرعية (ص ١٨٥).

(٥) السياسة الشرعية (ص ١٧٦).

٢ - ويقول ابن القيم رحمته الله:

«.. وقوله: ولزوم جماعتهم هذا أيضاً مما يطهر القلب من الغل والغش فإن صاحبه للزومه جماعة المسلمين يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لها، ويسوؤه ما يسوؤهم، ويسره ما يسرهم، وهذا بخلاف من انحاز عنهم، واشتغل بالطعن عليهم والعيب والذم لهم...»^(١).

٣ - وقال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢): «.. من نصب شخصاً كائناً من كان فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً».

وقد علق الشيخ بكر أبو زيد على هذا الكلام بقوله: «.. وهذه حال كثير من الجماعات والأحزاب اليوم، فإنهم ينصبون أشخاصاً قادة لهم فيوالون أولياءهم ويعادون أعداءهم ويطيعونهم في كل ما يفتون لهم دون الرجوع إلى الكتاب والسنة، ودون أن يسألوهم عن أدلتهم فيما يقولون أو يفتون...»^(٣).

إن منهج أهل السنة والجماعة مع ولاية أمرهم منهج وسط عدل، يقوم على أساس الاتباع وعدم الابتداع، والطاعة بالمعروف، وهذا مقتضى الأثر الذي تضافرت حوله النصوص الشرعية التي أشرنا إلى طرف منها سابقاً، وقد أكد ذلك سلف هذه الأمة تطبيقاً عملياً لهذا المنهج.

يقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر»^(٤).

ويقول: «إياكم والتبدع والتنتع والتعمق، وعليكم بالعتيق»^(٥).

ويقول: «اتبعوا ولا تبدعوا فقد كفيتم، وكل بدعة ضلالة»^(٦).

(١) مفتاح دار السعادة (١/٧٢).

(٢) الفتاوى الكبرى (٢/٢٣٩، ٢٤٠).

(٣) حكم الانتماء (ص ١٢١).

(٤) رواه الألكائي في شرح الاعتقاد (١/٨٦).

(٥) رواه ابن بطة في الإبانة (١/٣٢١).

(٦) رواه ابن بطة في الإبانة (١/٣٢٤).

كتاب منهج أهل السنة والجماعة في معاملة ولاية أمرهم

١٥٩٥

ويقول: «إنها ستكون أمور مشتهيات فعليكم بالتؤدة فإنك أن تكون تابعاً في الخير خير من أن تكون رأساً في الشر»^(١).

وسمع الحسن رجلاً يدعو على الحجاج فقال: «لا تفعل - رحمك الله - إنكم من أنفسكم أوتيتم إنما نخاف إن عُزل الحجاج أو مات أن تليكم القردة والخنازير»^(٢).

إن وجود الحكام للناس أمر لازم لزوم الماء للحياة إذ لا سعادة للبشر إلا بهم ولا عدلاً قائماً ولا حقاً ظاهراً إلا بسلطان الحكام، فالناس فوضى بدونهم، ولن يصلح الناس فوضى لا تقام فيهم أحكام الشرع، ولا تطبق عليهم حدود الإسلام، ولا تنفذ أنظمتهم ولا يأمن الناس على حياتهم، ولا تحقق رفاهية ولا يدفع عدو طامع مع هذه الفوضى، وقد عبر عن هذا المعنى رسولنا محمد ﷺ بقوله: «إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به»^(٣).

ومن أجل ذلك بوأ الله للحكام مكاناً وأنزلهم منازل كريمة فكانوا ظل الله في الأرض وأحبابه يوم القيامة. وصدق الحبيب المصطفى ﷺ إذ يقول: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل...» الحديث^(٤).

إن تاريخ العلماء والحكام من سلف الأمة حافل بمواقف الاستبصار ومواطن الذكرى، ومملوء بالدروس النافعة الرائعة، والأمة أحوج ما تكون اليوم إلى الاتعاظ بهذه المواقف والاهتداء بهديها، لئلا تتجاذبها رياح الفتن وتغتالها غوائل الدهر، وتقع في المحذور الذي وقعت فيه فئات من الناس جهلت التاريخ المضيء لأمة الإسلام، وما كان عليه علماء الأمة من معاملة صادقة للحكام وحرص على الخير، وما كان عليه الحكام من تقدير للعلماء ورفع لمكانتهم.

(١) رواه ابن بطة في الإبانة (١/٣٢٨).

(٢) أدب الحسن البصري لابن الجوزي (ص ١١٩).

(٣) رواه البخاري ومسلم، صحيح البخاري (٢/١١٦)، وصحيح مسلم (١/٧١٥).

(٤) رواه البخاري ومسلم، صحيح البخاري (٤/٦٠)، وصحيح مسلم الإمامة (٤٣).

وهذه حال أمة الأسلام، وهذا هو هدي سلفنا الصالح، ولذا شعرت الأمة خلال حقب التاريخ بالسعادة والرفاهية والأمن، وتحقق لها من الخير ما بوأها مكانة عالية مرموقة، وها هي بلاد الحرمين تنهج هذا النهج - والله الحمد والمنة - يتولى أمرها حكام مسلمون آمنوا بالله واليوم الآخر وحافظوا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ووقفوا عند حدودهما، والتزموا بأحكامهما. حضروا المساجد مع الرعية، وفتحوا لهم الأبواب يكرمون الزائر ويحترمون العالم ويجلونهم ويسمعون النصيح والإرشاد بكل أدب واحترام وهذا ما جعل هذه البلاد تحذو حذو سلف الأمة في العلاقة بين الحكام والمحكومين عامة، وبين الحكام والعلماء خاصة. ولذا لا يوجد في عرف بلاد الحرمين - وهو عرف نابع من الإسلام - رجال دين ولا رجال دنيا، فكل مسلم هو رجل من رجال الإسلام، ومن يعتقد بالإسلام يسمى مسلماً، والمسلمون جميعاً أمام دين الإسلام سواء ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ﴾ [الحجرات: ١٣].

لكن يوجد علماء ربانيون يوجهون الناس ويعلمونهم ويدلونهم على الخير والناس بلا علماء هم جهال تتخطفهم شياطين الإنس والجن من كل حذب وصوب، وتعصف بهم الضلالات والأهواء من كل جانب.

ومن هنا كان العلماء من نعم الله تعالى على أهل الأرض، فهم مصابيح الدجى، وأئمة الهدى، وحجة الله في أرضه. بهم تمحق الضلالة من الأفكار، وتنقشع غيوم الشك من القلوب والنفوس، فهم غيظ الشيطان، وركيزة الإيمان، وقوام الأمة، مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء، يهتدى بهم في ظلمات الحياة في البر والبحر.

أخي القارئ... إن ما نعيشه في بلاد الحرمين الشريفين من نعمة الأمن والأمان والسلامة والإسلام مرده إلى تحكيم شرع الله، وما تقوم به هذه البلاد المباركة من جهود خيرة تعود على المسلمين جميعاً.

ويأتي في طليعة ذلك العناية بالحرمين الشريفين والقيام على شؤونهما، وبذل الأموال الطائلة على عمارتهما، وتيسير الوصول إليهما، وتأمين طريق الزائرين لهما في موسم الحج وفي سائر العام.

وهذه نعمة تستوجب الشكر والدعاء لولادة أمرنا بالتوفيق والصلاح والفوز والفلاح والعزة والسعادة في الدنيا والآخرة وأن يحفظ الله على هذه البلاد نعمة الأمن والإيمان وأن يزيدها عزاً وتمسكاً بشرعه القويم، ووقوفاً في وجه الباطل وأهله والمفسدين في الأرض الذين لا يريدون لهذه البلاد الاستقرار والأمن والطمأنينة. ولكن الله غالب على أمره يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد.

قال العلامة أحمد شاكر تعليقاً على حديث «على المرء السمع والطاعة فيما أحب أو كره...» الحديث:

«... أما الشرع الإسلامي فقد وضع الأساس السليم والتشريع المحكم بهذا الحديث العظيم، فعلى المرء المسلم أن يطيع من له عليه حق الأمر من المسلمين فيما أحب وفيما كره، وهذا واجب عليه يأثم بتركه سواء أعرّف الأمر أنه قصر أم لم يعرف فإنه ترك واجباً أوجبه الله عليه، وصار ديناً من دينه إذا قصر فيه كان كما لو قصر في الصلاة أو الزكاة أو نحوهما من واجبات الدين التي أوجب الله...»^(١).

وقال مجدد الإسلام وإمام الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «... وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمرُوا بمعصية الله»^(٢).

نعم إن محبة ولادة الأمر والنصح لهم دليل على الصدق والإخلاص، وهذا ديدن العلماء الصادقين في كل زمان مع ولائهم الذين يحكمون بالكتاب والسنة. ونحن في بلاد الحرمين الشريفين نعيش في ظل الأمن الوارف وتحكيم الشرع المطهر فحق لولائنا علينا السمع والطاعة والتعاون معهم في كل سبيل فيه الخير والمصلحة لهذه البلاد ومن يعيش على ثراها.

وإذا كانت الأمة مطالبة في كل وقت أن تكون يداً واحدة وأن تتعاون كل فئات المجتمع على الخير والبر فإنها مطالبة في هذا الوقت أكثر لعظم

(١) السمع والطاعة (ص ٥، ٦).

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأحمد بن حجر آل بو طامي (٤٧).

الأخطار المحيطة بها. وصدق الحبيب المصطفى ﷺ في قوله: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً - وشبك بين أصابعه»^(١).

وقال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(٢).

إن من تمام شكر النعمة التي نعيش فيها أن نكون يداً واحدة متعاونين على الخير آمرين بالمعروف فاعلين له، ناهين عن المنكر مبتعدين عنه، عملاً بقوله الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

ويوم أن تتعاون فئات المجتمع ويصدر الناس عن رأي علمائهم الكبار في أمورهم العامة وقضاياهم المستجدة يتحقق بإذن الله الخير لهذا المجتمع ويتم التمكين له في الأرض، وبتفياً ظلال المن في ظل تحكيم شرع الله المطهر في هذه البلاد المباركة، ولكي تتضح هذه النعمة ويعرف قدرها يحسن أن ندير أبصارنا إلى من حولنا من البلاد التي تعصف فيها رياح الفتن، ويسرح فيها الباطل، وتعشعش فيها الجريمة بكل أشكالها، ولا يأمن فيها الفرد على نفسه وماله وعرضه، بل لا يؤدي في كثير من الأحيان عبادته إلا بخفية خشية إينائه من أهل الشر والضلال. فحمداً لك اللهم على نعمة الإسلام والأمن في الأوطان.

وأسأله سبحانه وتعالى أن يديم على هذه البلاد نعمة تحكيم شرع الله وأن يحفظ لها ولايتها، وأن يزيدهم هدى وصلاً، وأن يجمع بهم كلمة المسلمين، وأن يأخذ بأيديهم لما فيه خير هذه البلاد وصلاح رعاياها. كما أسأله سبحانه أن يوفق علماءنا ويسد على طريق الخير خطاهم، وأن ينفعنا بعلمهم ويجمعنا بهم ووالدينا وأحبابنا في جنات النعيم.

(١) رواه البخاري (٩٨/٣)، ومسلم (٢٠/٨).

(٢) رواه البخاري (٧٧/٧)، ومسلم (٢٠/٨).

من حقوق ولاية الأمر

السمع والطاعة لولاية أمر المسلمين أصل من أصول العقيدة السلفية إذ بالسمع والطاعة لهم تنتظم مصالح الدين والدنيا معاً وبالاقتيات عليهم قولاً أو فعلاً فساد الدين والدنيا وقد علم بالضرورة من دين الإسلام أنه لا دين إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمامة ولا إمامة إلا بسمع وطاعة يقول الفضيل بن عياض: لو كان لي دعوة ما جعلتها إلا في السلطان والسمع والطاعة لولي الأمر وحده وليس ذلك لأحد سواه كائناً من كان. فمن نزل نفسه منزلة ولي الأمر الذي له القدرة والسلطان على سياسة الناس فدعا جماعة للسمع والطاعة له أو أعطته تلك الجماعة بيعة تسمع وتطيع له بموجبها وولي المر قائم ظاهر فقد حادَّ الله ورسوله وخالف نصوص الشريعة واتبع غير سبيل المؤمنين.

يقول سهل بن عبد الله التستري: لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء فإن عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم وإن استخفوا بهذين أفسدوا دنياهم وأخراهم.

ومنهج أهل السنة والجماعة تعظيم أمر السلطان ما دام يعظم أمر الله ويتبع شرعه وأما حصول الأخطاء والتقصير فهذا لا يسلم منه أحد ولم تسلم منه القرون المفضلة والذي ينبغي الحذر منه أن يتخذ من أخطاء السلطان سبيلاً لإثارة الناس وإلى تنفير القلوب عن ولاية الأمور فهذا عين المفسدة وأحد الأسس التي تحصل بها الفتنة بين الناس كما أن ملء القلوب على ولاية الأمر يحدث الشر والفتنة والفوضى وكذا ملء القلوب على العلماء يحدث التقليل من شأن العلماء وبالتالي التقليل من الشريعة التي يحملونها وكم من المصائب والمآسي التي حصلت لمجتمعات كثيرة بسبب هذا الأمر ومتى حصل الخلل في المجتمع أو شك أن تضرب الفتنة أطنابها وبالتالي لا يستقيم للمجتمع ببيان

ولا يقر له قرار وعلى العكس إذا فشت المحبة المتبادلة بين الراعي والرعية وبين العامة وعلمائهم وظهر الدعاء لولاية الأمور وللعلماء فإن ذلك من علامات خيرية الأمة وخيرية الأئمة. وبناءً على ذلك فلا يجوز الوقوع في أعراض الأمراء والعلماء والاشتغال بسبهم وذكر معائبهم لأن ذلك خطيئة كبيرة وجريمة شنيعة نهى عنها الشرع المطهر وذم فاعلها وهي نواة الخروج على ولاية الأمر الذي هو أصل فساد الدين والدنيا معاً. ولا شك أن الوسائل لها أحكام المقاصد فكل نص في تحريم الخروج وذم أهله دليل على تحريم السب وذم فاعله وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(١).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله أي الإسلام أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(٢) نسأل الله جل وعلا أن يعصم ألسنتنا من الوقوع في أعراض الخلق وخصوصاً من له الحق من الولاية والعلماء والأساتذة والأقارب ورجال الحسبة وأهل الفضل والدعوة وغيرهم.



(١) رواه البخاري (٤٤٥/١٠ - ٥٣١)، فتح، ومسلم (٦٨/١).

(٢) رواه البخاري (٥٤/١)، فتح، ومسلم (٦٥/١).